

الأمر بالجبار ولا الحديد، وإنما هم رجال كسائر الرجال إذا تراكمت عليهم الأعمال، واستُنْزِلتَ منهم القوى أكْدَتْ ملكاً لهم، وضعف نتاجهم، وقل غناوهم، وهذا هو السر فيما نراه من بطء وعقم وتراءٍ في تنفيذ خطط الإصلاح.

والشعوب الراقية تيسّر على الحكومات أمرها، وتعينها على أداء واجبها بما تبته في نواحي الحياة من نشاط، ولقد نعلم أن فيها لكل فرع من فروع العلوم العلمية أو النظرية مؤسسة تهتم به وتدرسه وتحيط بدقائقه وتفاصيله، ونعلم أن بعض هذه المؤسسات تقوم على ما يوجد به رجل واحد ممن آتاهم الله المال، وآتاهم مع المال حب العلم والإصلاح، فكانوا كل واحد منهم بما يقدمه إلى الناس أمة برأسها.

ولقد كنا كذلك حين كانت أمورنا علينا، وكانت المساجد جامعات، والمجالس معاهد، وبيوت العلماء والأدباء نوادي للبحث، وكان علينا من يرحل لتحقيق رواية، وضبط كلمة، وسماح حرف، ومن يتبتل في سبيل العلم كما يتبتل الرهبان في الصوامع والبسائع، ومن يخرج من ماله ما ويملك لعالم أو أديب رفع له كتابا ثم لا يجد ذلك كفاءً لفضله، ولا عدلاً لجميله، فيعتذر إليه، ويُغضى حياء منه، وقد زخرت المكتبة العربية المستقصية في مختلف العلوم والآداب ما بين فقه وتاريخ وأدب وتفسير وحديث ولغة وتجارب وغيرها، وكل كتاب منها – لعمري – بحر لا يدرك غوره، وكمن لا تفني أعلاقة ونفائسه، وهذا مجمع الضاد يأتلف فيه عقد الفطاحل من أبناء الشرق والغرب فيدرسون إلى اليوم قرابة عشرين عاما ولمّا يُبرزوا معجمهم الوسيط بـ١٠٠ الكبير، وبين أيديهم " لسان العرب " و " الصحاح " و " المخصوص " و " النهاية " و " القاموس " وكل واحد منها ثمرة من ثمار رحل واحد.

فياليت قومي يعلمون أن " الحكومات " لن تغنى عن الشعوب إذا نامت الشعوب.

رئيس التحرير محمد محمد المدنى